# خاتمة

الآن قد ذكرنا من الأمثلة والشواهد ما يدل على وقوع الاجتهاد منه صلى الله عليه وسلم متنوعاً حسب طبيعة الإنسان ؛ فرأيناه اجتهد وعبر عن اجتهاده بالقول مرة ، والعمل والفعل أخرى ، و إقرار رأى بعض صحابته أو عدم إقراره إياه ثالثة .

والاجتهاد منه إذن مؤكد الوقوع ، سواء أكان عن طريق القرآن الكريم أو السنة الصحيحة .

وموضوع اجتهاده عليه السلام لم يكن خاصًا بموضوع معين ولا بوقت ومكان ؛ بل تناول عدة أمور من واقع حياته وحياة المؤمنين معه ، وما لم يكن من واقع حياته وحياة المؤمنين معه كذلك - كما فى حديث نسل المسوخ[1] وحديث عذاب القبر[2] - وامتد إلى تعبير الرؤيا[3] بل رأى بعض العلماء أنه تناول فهم القرآن ونحن لا نقر ذلك الرأى لما فيه من الخطورة[4] ، وحدث فى أزمنة متعددة وأمكنة مختلفة .

كما لم يكن رأيه عليه السلام فيما اجتهد فيه ، يمثل الصواب دائما ولا محل رضاء الله تعالى عنه ، دائما كذلك ، كما أن تصويب الخطأ فى رأيه من المولى

---

[١] ص ٦٠ ، ٦١ من هذا الكتاب .
[٢] ص ٦٨ ، ٦٩ من المصدر السابق .
[٣] ص ١٥٩ من المصدر السابق .
[٤] ص ١١٨ ، ١٢٦ من المصدر السابق .

جل شأنه ، أو منه عليه السلام أو من صحابته ، لم يكن دائماً أبداً عقب ظهور الرأى مباشرة ؛ بل قد كشفت الأيام عن خطأ هذا الرأى فى بعض الأحايين ، أو كان سبباً فى أن عاتبه عليه مولاه جل شأنه ، أو وقع التصويب بعد فترة زمنية تقصر وتطول ، مما لا يدع شكا فى أن الرسول بشر يجوز عليه ـ عدا ما خصه به الله ـ ما يجوز على أى بشر آخر .

* * *

فالفصول الثلاثة من الباب الثانى تصور فى جملتها تنوع اجتهاده صلى الله عليه وسلم ، وبالتالى تصور وقوع اجتهاد منه ، وفى غير أمر واحد وغير زمان واحد ، وغير مكان واحد .

وفيما أبداه عليه السلام من رأى فى تلقيح النخل[١] أظهرت الأيام عدم نفعه لمن أخذوا به ـ كما لم يجئ وحى بشأنه ـ . والله سبحانه وتعالى إذ يوافقه على ما رأى وطلب[٢] بقوله : « قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا » ، لا يوافقه[٣] على ما رأى وطلب فى ناحية أخرى ، كما جاء فى قوله: «قَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ . . . » ؛ بل قد يعاتبه[٤] ـ وأحياناً يشتد

---

[١] ص ١٠٦ من المصدر السابق .
[٢] ص ٧١ من المصدر نفسه .
[٣] ص ٧٣ من المصدر السابق .
[٤] صفحات : ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٥ ، ٩٣ ، ١٠٣ من المصدر السابق .

فى العتاب ـ على ما رأى عليه السلام مثل ما جاء فى قوله تعالى : « وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ » ، وفى قوله : « فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ ... الآية » ، وفى قوله : « وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ ... الآية » ، وفى قوله : « عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ... » ، وفى قوله : « لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ... » .

وفيما نقل عنه عليه السلام تعديلا لرأيه الأول فى حديث التحريق بالنار[١] ـ فى رواية البخارى عن أبى هريرة ـ ، وفيما أوحى إليه من الله جل شأنه فى أمر عذاب القبر[٢] ـ فى رواية مسلم عن عائشة ـ ، وفيما ذكره تعالى اسمه إجابة لما رأى وطلب[٣] فى شأن القبلة ـ فى سورة البقرة ـ يدل على وجود فترة زمنية لا يعرف مقدارها على وجه الدقة بين الرأى ومجىء الصواب به أو بين الطلب وإجابته .

* * *

١ — فالاجتهاد جاز على الرسول صلوات الله عليه إذن ، لأنه وقع منه .

٢ — وموضوعه متنوع ، دينى أو دنيوى ، مغيب أو مشاهد ، كما يؤخذ من الروايات المذكورة .

---

[١] ص ٨٢ من المصدر السابق .

[٢] ص ٦٨ من المصدر السابق .

[٣] ص ٧١ من المصدر السابق .

٣ — وليس بلازم أن يكون رأيه عن اجتهاد صواباً على الدوام ، كما رأينا ذلك فيما مضى غير مرة ،

٤ — وليس بلازم أيضاً أن يقع التصحيح للرأى الخطأ فوراً ،

٥ — كما يجوز أن لا يرد له تصحيحٌ ما على الإطلاق — كما فى حديث تأبير النخل — .

٦ — كما يحتمل أن يكون سكوته عليه السلام على رأى بعض صحابته موافقة عليه أو انتظاراً لما يأتى به الوحي — كما فى حديث ابن الصياد —

* * *

ونحن لا نهدف فى كتابنا هذا إلا إلى المحافظة على مقام الألوهية من أن يقتحمه أو يدنو منه أحد من خلق الله مهما عظمت منزلته ، كما عمل لذلك خاتم الأنبياء وسيد الأبرار نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

فمحمد عليه السلام هو ابن عبد الله بن عبد المطلب من قريش ، وهو رسول الله . هو إنسان أوحى إليه ، لم يخرجه الوحى عن إنسانيته ، ولم تتعدّ طبيعته الإنسانية إلى دائرة ما أوحى به إليه . وهو المنزل عليه :

« قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا »

« صدق الله العظيم » والحمد لله رب العالمين